OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

خدمات الإمام الشيخ أحمد رضا خان في مجال الدين والسياسة(دراسة تحليلية)

The services of Imam Sheikh Ahmed Raza Khan in the field of religion and politics (Analytical study)

۞ د.محمد ظفر اقبال الجلالی

رئيس و استاذ الحديث، جامعة اسلام آباد،اسلام آباد

۞۞ ماجد نواز ملک

استاذ الفقه ،جامعة اسلام آباد ،اسلام آباد

Abstract

Imam Ahmad Raza Khan was a scholar, a poet, a great writer, a famous jurist, a great exegete, a great modernizer, and a collector of Islamic and Arabic sciences. He delved into Islamic jurisprudence, its origins and its particulars, because everyone who excelled and excelled in Islamic jurisprudence must be the most prolific in hadith and interpretation. Sheikh Ahmed Raza Khan was one of the great thinkers and reformers who carried out Islamic advocacy and religious services. Sheikh Ahmad Raza Khan resisted and responded to heresies, and performed an important role in reviving the purified Sunnah and killing the heinous heresy, and authoring books and pamphlet s to reform the Muslim people and the Islamic community. Imam Ahmed Raza Khan was An unparalleled jurist, an insightful scholar, a thinker with a right vision, and a wise and thoughtful person. Imam Ahmad Raza Khan made some contribution to political activities, and expressed his right opinion in them in the light of the Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet. Imam Ahmad Raza Khan raised his voice Strongly against solidarity between Muslims and Hindus So great that it reverberated throughout the vast subcontinent.

Keywords: Ahmad Raza, Islamic jurisprudence, political activities, solidarity

ولد شاعرنا الإمام الشيخ أحمد رضا خان البريلوي قبل الثورة الهندية بعام فى الظروف القلقة و الأحداث الرهيبة، و كانت الهند آنئذ تغلي كالمرجل من ظلم الاستعمار البريطاني الغاشم، فكان لذلك تأثير قوي في حياة الشيخ أحمد رضا خان من حيث حبه للإسلام و المسلمين، و كراهيته للاستعمار البريطاني بل كل ملة تخالف دين الإسلام.

أ:اسمه و مولده:

هو الشيخ محمد أحمد رضا خان بن الشيخ محمد نقي علي خان القادري بن الشيخ محمد رضا علي خان النقشبندي بن الحافظ الشيخ كاظم علي خان بن الشيخ محمد أعظم خان بن محمد سعادت يار خان بن سعد الله خان(1)، و ولد الشيخ أحمد رضا خان في العاشر من شهر شوال عام (1279هـ) الموافق للرابع عشر من شهر يونيو سنة (1856م) بمدينة "بريلي" الواقعة فى ولاية أتربرديش الهندية.(2) و قد اتفق المترجمون على أن اسمه محمد و سماه جده أحمد رضا خان فاشتهر بهذا الاسم، و كان يستخدم "رضا" لقباله فى الشعر العربي و الفارسي و الأردي، و لكنه اشتهر فى شبه القارة (باكستان و الهند و بنجلاديش) بلقب "أعلى حضرت" فكم من كتب و مقالات كتبت حول شخصية شاعرنا بعنوان لقبه هذا، و نذكر بعضها على سبيل المثال: سوانح أعلى حضرت للشيخ بدر الدين القادري، و حياة أعلى حضرت(3) للشيخ ظفر الدين البهاري، و تذكرة خلفاء أعلى حضرت للشيخ محمد صادق القصوري و الدكتور مجيد الله القادري و خلفاء أعلى حضرت للدكتور محمد مسعود أحمد و الشيخ محمد عبد الستار طاهر.(4)

و الجدير بالذكر أن الشيخ أحمد رضا خان اختار لنفسه "عبد المصطفى" لقباله نتيجة لحبه الشديد و اتباعه السديد للنبي الكريم كما يقول في شعره الأردي مفتخرا بهذه النسبة:

خوف نہ رکھ رضاؔ ذرا تُو تو ہے عبدِ مصطفیٰ

تیرے لیے امان ہے تیرے لیے امان ہے(5)

و نقله الدكتور حسين مجيب المصري إلى الشعر العربي:

(رضا) لا تخف أنت عبد الرسول

بذا كل خوف لديك يزول (6)

و استخدمت كلمة العبد هنا بمعنى الخادم لا الغير كما جرى العرف في المسلين في باكستان و الهند و بنجلاديش و مصر و غيرها، و ليس هذا شركا كما توهم بعض الناس، لأنه ليس المقصود به إلا أنه الخادم المخلص للرسول الأعظم كما يقول الدكتور حازم محمد أحمد محفوظ المصري: "ليس المقصود به إلا أنه الخادم المخلص للرسول الأعظم محمد بن عبد الله الذي أرسله الله الواحد القهار رحمة للعالمين، و إننا لنجد آلافا من الناس في مصر قيدوا في شهادات الميلاد الخاصة بأولادهم إلى الفخر، و يتجلى منه مدى الهيام في العشق المحمدي" (7).

ب:نشأته و تربيته:

قد نشأ الشيخ أحمد رضا خان و ترعرع في بيت علم و فضل حيث كان آباؤه و أجداده هم قمة رجال عصرهم في شتى ميادين العلم و الأدب، لا سيما في مجال القرآن الكريم و الحديث الشريف و التصوف و الزهد و التدريس و الإفتاء و التصنيف و التأليف، ليس هذا فحسب بل كانوا أصحاب الأراضي الواسعة و تولى بعضهم منصب الوزارة، فكل هذا له أثر بالغ في نشأة الشاعر و تربيته، لا شك أن البيئة و الأسرة منذ النشأة الأولى هي التي تشكل الشخصية الفذة و تظهرها، و كان أجداد الشيخ أحمد رضا خان هم قمة رجال عصرهم في شتى نواحي العلم و المعرفة .... و لهذا نشأ إمامنا متقلبا في النعمة، و كان مزينا بالتقوى و الطهارة، و كان متبعا للسنة النبوية، وكان مزينا بأوصاف حسنة في الطفولة، وكان متصفا بذكاء خارق و ذاكرة قوية.(8)

و هكذا نشأ و تربى على يد والده و جده و هما كانا عالمين كبيرين و متخلقين بالخلق القويم المستمد من القرآن و السنة.

و هكذا يحدثنا الأستاذ الدكتور ممتاز أحمد سديدي الأزهري حيث يقول: "و قد أدت هذه البيئة إلى تخريج شاعر و أديب عربي كبير و هو الشيخ أحمد رضا خان و يكفيه فخرا أنه بدأ التأليف باللغة العربية و كان عمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاما، ترى ماذا تقول في رجل بدأ يؤلف بلغته الثالثة و هو في هذه السن المبكرة ..... لكنها على كل كانت ميراثا طيبا أتت إليه عن طريق والده ..... و بالتالي كان العربية ذات جذور في هذه الأسرة و قد أثمرت ثمرات طيبة اهتم بها الباحثون.

و قد ظهرت آثار هذه التربية في صغر سنه، فاستمسك بالأخلاق الفاضلة و القيم النبيلة من التواضع و الحلم و التقوى و الإخلاص و غير ذلك كما يحدثنا ملك العلماء الشيخ محمد ظفر الدين البهاري (9) عن خلق الشيخ أحمد رضا خان قائلا: "كانت كل أعماله لله فقط، و لم يكن يرغب في مدح أحد من الأمراء كما لم يخف في الله لومة لائم، و كان خير مصداق لقول الرسول (10) "من أحب لله، و أبغض لله، و أعطى لله، و منع لله، فقد استكمل الإيمان".(11)

في ضوء هذا الكلام يمكننا أن نقول: "إن الشيخ أحمد رضا خان تربى تربية إسلامية عالية على يد والده و جده و كان لهذه التربية أثر عميق في تكوين شخصيته الإسلامية حيث تمسك طوال حياته بالصبغة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، و إذا كان حاله هو هذا و هو صغير فكيف به عند النضج و

بلوغ العقل من التمام ما أراد الله أن يبلغ، لا شك في أننا وجدنا ذلك واضحا جليا حين عرفنا كيف يفكر سياسيا و علميا، و سوف نستشهد على ذلك فيما بعد.

ج: آباؤه و أجداده:

لقد كان لآباءه و أجداده أثر كبير في تربيته يمكن أن نذكر هؤلاء الأفذاذ فهم:

والده العلامة الشيخ محمد نقي علي خان ولد مستهل رجب عام 1246هـ بالهند، و نشأ في بيت العلم و العرفان، و تفقه على أبيه الفاضل محمد رضا علي خان، و صنف تصانيف جليلة تاقت خمسة و عشرين، من أجلها جواهر البيان تفسير سورة الانشراح، و سرور القلوب في ذكر المحبوب، و أصول الرشاد لقمع مباني الفساد وغير ذلك (12) و توفي سلخ القعدة عام 1298 هـ (13) و يحدثنا الدكتور حسين مجيب المصري (14) عنه أثنا حديثه عن تربية الشيخ أحمد رضا خان قائلا: "فقد كان لأبيه باع و قدم راسخة في العربية ..... الخ.(15)

جده العلامة الشيخ محمد رضا علي خان النقشبندي، فكان عالما و فقيها عظيما ، بحر التصوف و الزهد، يذكر الأستاذ المفتي شجاعت علي خان فيقول: كان خطيبا بليغا و بارعا فى علوم التصوف، متأدبا بآداب الفاضلة (16) توفي عام 1272 هـ

و الجد الثاني لأديبنا هو الشيخ محمد كاظم علي خان، و كان يرأس كتيبة مكونة من مائتي جندي في مدينة بدايون، و كان له أراضي كثيرة.(17)

أما جده الثالث فهو الشيخ محمد أعظم خان، عين على منصب الوزارة في عهد المغول، ثم ترك الوزارة، و أعرض عن الحكومة، و اشتغل بالعبادة و الزهد و دعوة الناس إلى الله و رسوله.(18)

كان جده الرابع الشيخ سعادت يار خان أيضا تولى المنصب في نفس العهد، أما جده الخامس سعيد الله خان، فنال منصب شش هزاري (ستة آلاف) في الجيش في عصر سلطان محمد شاه، و قد تولى لقب شجاعة جنك بهادر "أبي شجاع الحرب".(19)

د: وفاته و مدفنه:

انتقل أديبنا الشيخ أحمد رضا خان إلى جواربه في الخامس و العشرين من صفر عام (1340 هـ) الموافق الثامن و العشرين من أكتوبر سنة (1921 م) يوم الجمعة المبارك وقت الظهر، و دفن في المدرسة بمدينة بريلي (الهند) (20) يحدثنا ابنه الأكبر و خليفته الأعظم الشيخ محمد حامد رضا خان

عن وقت رحيله قائلا: "قال الشيخ أحمد رضا خان لأخيه اذهب و توضأ، و ذلك في الساعة الثانية إلا خمس دقائق، فذهب أخوه، ثم أمر الشيخ ابنه أن يتلوا سورة الرعد و سورة يسين عنده ، فسمع الشيخ هاتين السورتين بالخشوع و الخضوع، ثم جعل الشيخ نفسه قرأ أدعية السفر إلى أن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، بعد دقيقتين صعدت روحه إلى باريها، و ذلك في الساعة الثانية و تسع و ثلاثين دقيقة، و كان المؤذن يقول ,,حي على الفلاح،، و ذلك يوم الجمعة 25 من صفر عام (1340هـ) و الموافق 28 أكتوبر عام (1921م) ببلدة بريلي.(21)

خدمات الإمام الشيخ أحمد رضا خان في مجال الدين

لا شك أن الإمام أحمد رضا خان كان عالما متبحرا و شاعرا و أديبا كبيرا و فقيها شهيرا و مفسرا جليلا و محدثا عظيما و جامعا للعلوم الإسلامية و العربية، و له خدمات مشكورة و جهود جبارة في خدمة الإسلام و المسلمين و إصلاح المجتمع بمقاومة البدع والمنكرات و بث الروح الديني في قلوب المسلمين.

و كذلك كانت له جهود مشكورة في خدمة القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، و كان متوسعا في التفسير و الحديث كما كان متبحرا في الفقه الإسلامي و أصوله و جزئياته، لأن كل من كان له التفوق و النبوغ في الفقه الإسلامي لا بد أن يكون هو كثير البضاعة في الحديث و التفسير.

و قد ترجم شيخنا القرآن الكريم باللغة الأردية ترجمة ممتازة لا نظير لها في تراجم القرآن الكريم بالأردية و سماها "كنز الإيمان في ترجمة القرآن" و أعجب بها الناس من العوام و الخواص على حد سواء، و كتب الباحثون مقالات علمية و بحوثا قيمة حول أهمية الترجمة و خصائصها، و قد بلغ عددها إلى أكثر من خمسة و سبعين بحثا و مقالا كما ذكر الشيخ عبد الستار طاهر أسماءها.(22)

و ألف الشيخ بعض الكتب تفسيرا لبعض الآيات و السور من القرآن الكريم و منها:

الصمصام على مشكك في آية علوم الأرحام.

النفحة الفاتحة من مسك سورة الفاتحة.

نزول آيات فرقان بسكون زمين و آسمان.

أنوار الحكم في معنى ميعاد استجب لكم.

نائل الراح في فوق الريح و الرياح.

المحجة المؤتمنة في آية الممتحنة.

إنباء الحي أن كتابه المصون تبيان بكل شيئ و غير ذلك.

و كانت له تعليقات نادرة و حواشي قيمة على بعض التفاسير، و منها:

التحشية

للبيضاوي.

للخازن.

للدر المنثور.

لمعالم التنزيل.

لعناية القاضي.

للإتقان في علوم القرآن للسيوطي.(23)

و لما ننظر إلى تبحره و خدماته في علم الحديث الشريف نجده محدثا كبيرا لسعة إطلاعه على علم الحديث الشريف و أصوله و أسماء الرجال كما يحدثنا عمدة المحدثين حافظ البخاري الشيخ وصي أحمد المحدث السورتي عن مكانته في علم الحديث الشريف قائلا: "بأنه أمير المؤمنين في الحديث فى عصره".(24)

و تشهد بعلو كعبه في علم الحديث و أصوله بحوثه القيمة و تعليقاته العلمية على كتب الحديث، و يبلغ عددها إلى خمسة و أربعين بحثا و تعليقا.(25) و من يريد أن يرى تبحره في علوم الحديث و أصوله فلينظر إلى تأليفاته كما يلي:

مدارج طبقات الحديث.

الفضل الموهبي في معنى إذا صح الحديث فهو مذهبي.

الروض البهيج في آداب التخريج.

حاجز البحرين الواقي عن جمع بين الصلاتين و غيرها.

و كان الشيخ أحمد رضا خان من كبار المفكرين و المصلحين الذين قاموا بالدعوة الإسلامية و الخدمات الدينية الهامة بحماستهم الإيمانية و عواطفهم الجياشة، فقام برد عنيف على الفرق الضالة

المنحرفة عن جادة الإسلام البيضاء، و حافظ على عقائد أهل السنة و الجماعة لأنه كان عاضا بنواجذه على القرآن الكريم و السنة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية كما هو واضح على كل من طالع كتبه و رسائله البهية.(26)

و أسهم بدور فعال في الرد على عقائد الفرق الضالة بالتصنيف و التأليف و الحكمة و الموعظة الحسنة، و اشتهر بين معاصريه بتقواه و ورعه وحبه الصادق لسيد المرسلين ﷺ و حماية المذهب الحنفي و الدفاع عن عقائد أهل السنة و الجماعة بفتاواه و اجتهاداته التي أساسها القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و إجماع الأمة و القياس في باكستان و بنجلاديش والهند.

و لما ذهب الشيخ أحمد رضا خان إلى الحجاز مرة ثانية لزيارة الحرمين الشريفين عام (1323) للهجرة، فطرح عليه بعض الناس من الهند أسئلة عن علم النبي ﷺ، فقام الشيخ بإعداد بحث علمي باللغة العربية عن هذه المسئلة في ثمان ساعات بدون مراجعة الكتب، و جعل له اسمه التاريخي "الدولة المكية بالمادة الغيبية" و جاء فيه بأدلة حاسمة عن الفرق بين علم الله و علم رسوله، و أثبت فيه بأنه لم يكن يعتقد بمساواة علم الرسول بعلم الله كما اتهمه بعض الناس.

و لما قرأه الشيخ صالح كمال مفتي مكة المكرمة بمجلس "الشريف" أمام حشد كبير من علماء العرب و العجم فأعجبوا بإمام أهل السنة، و اعترفوا بنبوغه فى العلوم الإسلامية و العربية، و قرظ عليه حوالى خمسين عالما من علماء الحرمين الشريفين و خمسة عشر عالما من علماء الدول الإسلامية.(27) و بعض التقاريظ من أبناء جامعة الأزهر الشريف و أساتذته، لقد اهتم بنشر بعضها الدكتور حازم المصري في تأليفه "الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان و العالم العربي".(28) و سأل علماء مكة المكرمة عن شاعرنا أيضا عن حكم البنكنوت و الأوراق المالية فأجاب الشيخ أحمد رضا خان عن هذه المسئلة الحديثة التي كانت تتضمن اثنتي عشرة نقطة، و أعد رسالة علمية قيمة باللغة العربية بدون مراجعة الكتب، و سماها بالاسم التاريخي " كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم"(29) و نال هذا المؤلف أيضا إعجابا كبيرا من علماء العرب.

و قام الشيخ أحمد رضا خان برد عنيف للفرقة "القاديانية" الضالة الشيطانية، و قد أفتى الشيخ بتكفير القادياني المتنبي الميرزا غلام أحمد القادياني و أتباعه كما يقول الدكتور حازم المصري بهذا الصدد: ثم أفتى بفتواها الشهيرة التي تعد أول فتوى في شأن الخروج القادياني و أتباعه عن دائرة الإسلام".(30)

و ألف الشيخ كتبا عديدة في رد هذه الفرقة الضالة و هي كما يلي:

الجزار الدياني على المرتد القادياني.

جزاء الله عدوه بإبائه ختم النبوة.

السوء و العقاب على المسيح الكذاب.

المبين ختم النبيين.

قهر الديان على مرتد بقاديان و غير ذلك.

و قيل عنه نظرا لجهوده الجبارة في ردها بأنه الذي به انهارت الفتنة القاديانية.(31)

و هكذا قام الشيخ بدور كبير ضد حركة الشيعة، و ألف في ردهم و معتقداتهم الباطلة مؤلفات تتجاوز عشرين عددا، و نكتفي بذكر أسماء بعضها كما يلي على سبيل المثال:

الكلام البهي في تشبيه الصديق بالنبي.

مطلع القمرين في إبانة سبقة العمرين.

لمعة الشمعة لهدي شيعة الشنيعة.

ذب الأهواء الواهية في باب الأمير معاوية.

الأدلة الطاعنة في آذان الملاعنة.

الرائحة العنبرية عن الجمرة الحيدرية.

الجرح الواجح في بطن الخوارج.

أعالى الإفادة في تعزية الهند و بيان الشهادة.

جمع القرآن و بم عزواه لعثمان و غير ذلك.

و كان الشيخ أحمد رضا خان يؤيد عقيدة التوحيد، و يصر عليها، و لكنه مع ذلك يوجب الوعي بعظمة النبي الكريم و كرامته حسب ما ورد في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و أقوال السلف الصالح، و كان لا يخاف لومة لائم في إحقاق الحق و إبطال الباطل، و كان بعض الناس يتوهمون بأن إكرام الرسول و تعظيمه يؤدي إلى الشرك و البدعة، فقام الشيخ في ردهم، و قدم تحقيقاته الأنيقة و دراساته الدينية، و نذكر أسماء بعضها.

سبحان السبوح عن عيب كذب مقبوح.

تمهيد إيمان بآيات قرآن.

المعتمد المستند بناء نجاة الأبد.

سلطنة المصطفى في ملكوت كل الورى.

الأمن و العلى لناعتي المصطفى بدافع البلاء.

بركات الإمداد لأهل الاستمداد.

إقامة القيامة على طاعن القيام لنبي تهامة.

حياة الموات في بيان سماع الأموات.

منير العين في تقبيل الإبهامين.

الدولة المكية بالمادة الغيبية.

حاجز البحرين الواقي عن جمع الصلاتين و غير ذلك.

و لا شك أن لبحوثه العلمية و جهوده الطيبة دورا كبيرا في مجال الدين.

و هكذا قام الشيخ أحمد رضا خان في مقاومة البدع و الرد عليها، و أدى وظيفة هامة في إحياء السنة المطهرة و إماتة البدعة الشنيعة، و ألف الكتب و الكتيبات لإصلاح الشعب المسلم و المجتمع الإسلامي حينما رأى الجهال يسجدون للقبور ألف بحثا علميا تحت عنوان: "الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية" و قال فيه بهذا الصدد: "أيها المسلم المتبع للشريعة المحمدية! اعلم و تيقن أن السجدة

تكون لله فقط، أما سجدة العبادة لغيره فشرك مهين و كفر مبين يقينا و إجماعا، و أما سجدة التحية فمن كبائر المحرمات يقينا".(32)

و كان الشيخ يمنع الناس عن تعليق صور البراق في بيوتهم و جولان النساء المتبرجات في حفلات الزواج و العرس و ذات الغناء و غير ذلك من حفلات المحرمات الشرعية، و حرم المزامير على الإطلاق و استخدام آلات الموسيقى و الإسراف و التبذير و غير ذلك كثير من البدع التي راجت بين الناس.(33)

و الحق أن الشيخ أحمد رضا خان قام بدور فعال في مقاومة البدعة و إحياء الدين الإسلامي، و سعى سعيه المشكور في تجديد الدعوة الإسلامية ببحوثه العلمية و مؤلفاته القيمة.

خدمات الإمام الشيخ أحمد رضا خان في مجال السياسة.

و كان الإمام أحمد رضا خان فقيها عديم النظير، و عالما ذا بصيرة، و مفكرا ذا رأى صائب، و حكيما مدبرا و إن لم يكن زعيما سياسيا كما يقول الأستاذ الأديب كوثر النيازي بهذا الصدد: "و مما يجب أن يفهم أن الإمام أحمد رضا خان لم يكن زعيما سياسيا، إنما كان حكيما مدبرا فالزعماء السياسيون يتبعون أهواء الشعب، و أما الحكماء المدبرون فهم يتنبئون بالمستقبل و يخططون له".(34)

فإن الإمام أحمد رضا خان ساهم بعض المساهمة في الأنشطة السياسية، و أبدى رأيه السديد فيها في ضوء القرآن الكريم و السنة النبوية، و لما بدأت "حركة الخلافة" بعد الحرب العالمي الأول سنة 1919م ضد الإنجليز، و كان هدفها الأساسي الحفاظ على الدولة العثمانية و المساعدة إليها حسب ما أعلن، و اشترك فيها زعيم الهندوس المستر غاندي أيضا، و أصبح زعيما لها، و تحققت له الشهرة الواسعة باسم الخلافة، و نجح في خدعة المسلمين، و أقدم في العام القادم على تغيير مسار العواطف الجياشة إلى "حركة ترك الموالاة" مع الإنجليز، و كان هدفها إثارة الضغط على الإنجليز بمقاطعة مصنوعاتهم و المؤسسات التعليمية الحكومية و الأهلية و الاستقالة من الوظائف الحكومية و غيرها، فاتحدت الحركتان لترك الموالاة مع الإنجليز فيما بين المسلمين و الهندوس. و إن المسلمين مع الأسف

الشديد و إن قاطعوا الإنجليز، و لكنهم والوا الهندوس بل قيدوا أنفسهم مع الهندوس في سلسلة المواخاة و الود، و من هنا نشأت فكرة الإتحاد الوطني يعني إن المسلمين و الهندوس قوم واحد لأنهم يسكنون في وطن واحد، و العجب الشديد إن بعض كبار علماء الهند أيدوا هذه الفكرة، و لكن الإمام أحمد رضا خان رأى كل هذه الظروف و الأحداث السياسية بفراسة المؤمن، و نبه المسلمين عن المخاطر و المضرات التي كانت تختفي من وراء هذا التضامن بين المسلمين و الهندوس، و أوضح أن المستر غاندي زعيم الهندوس لا يمكن أن يكون ناصحا للمسلمين إزاء الهندوس، فاعتماد العلماء المسلمين على قيادته لا يجدي نفعا و إنما يضر المسلمين.(35)

و كان الإمام أحمد رضا خان أول من أفتى بتحريم الموالاة مع كل كافر و مشرك قطعا في ضوء القرآن و السنة سواء كانوا من الإنجليز أم من مشركي الهند، و ألف الكتاب "المحجة المؤتمنة في آية الممتحنة" لنظرية التمايز القومي سنة 1920م، و أبدى رأيه فيه قائلا: "الموالاة حرام مع كل كافر مشرك على الإطلاق، و إن كان ذميا خاضعا للحكومة، و إن كان أبا أو إبنا أو أخا أو ذا قرابة لأحد".(36)

و قد رفع الإمام أحمد رضا خان صوته ضد التضامن بين المسلمين و الهندوس بقوة بالغة حتى دوت به أرجاء شبه القارة الفسيحة، و أصبح المسلمون يخالفونه، لكنهم بعد ما هدأت العواطف صاروا يعترفون ببصيرته.(37) كما تأثر الشاعر القومي لباكستان الدكتور محمد إقبال و مؤسس باكستان محمد علي جناح بفكرة شيخنا، و تغيرت أفكارهما بعد تأليف الشيخ أحمد رضا خان "المحجة المؤتمنة في آية الممتحنة" و بهذا قد وضع الإمام أحمد رضا خان حجر الأساس للنظرية التي عرفت فيما بعد بتمايز الأمتين (حركة استقلال باكستان) فإنه كان يرى أن المسلمين أمة و الكفار أمة أخرى سواء كانوا بشكل الإنجليز أو الهنادكة، فلا موالاة للكفار.(38)

فصار بعد ذلك الدكتور محمد إقبال و الشيخ محمد علي جناح من مؤيدي فكرة التمايز القومي، و اقترح الدكتور محمد إقبال بتقسيم الهند على الصعيد السياسي في الاجتماع الذي عقده حزب الرابطة الإسلامية سنة 1930م، و كان الشيخ محمد عبد القدير قد قدم هذا الإقتراح نظريا عام

1925م، فبادر الشيخ نعيم الدين المراد آبادي المفكر الإسلامي العظيم و خليفة الإمام أحمد رضا خان (المتوفي عام 1948م) إلى تأييد هذا الإقتراح و تعضيده، و لما تمت الموافقة على قرار إقامة باكستان الإسلامية سنة 1940م بلاهور بذل ابنه الكريم المفتي محمد مصطفى رضا خان (المتوفي 1971م) و خلفاؤه و تلاميذه و مسترشدوه و المتصلون به أقصى جهودهم في إقامة باكستان، و أعلنوا تأييدها سنة 1946م بعقد حفلات في بنارس الهند التي استغرقت أربعة أيام، و لا شك أن أتباع الإمام أحمد رضا خان و نظرية التمايز القومي قد لعبت دورا هاما و طليعيا في إيجاد باكستان و تطويرها.(39)

الخلاصة

الإمام أحمد رضا خان كان عالما متبحرا و شاعرا و أديبا كبيرا و فقيها شهيرا و مفسرا جليلا و محدثا عظيما و جامعا للعلوم الإسلامية و العربية.

كانت له جهود مشكورة في خدمة القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، و كان متوسعا في التفسير و الحديث كما كان متبحرا في الفقه الإسلامي و أصوله و جزئياته، لأن كل من كان له التفوق و النبوغ في الفقه الإسلامي لا بد أن يكون هو كثير البضاعة في الحديث و التفسير.

و كان الشيخ أحمد رضا خان من كبار المفكرين و المصلحين الذين قاموا بالدعوة الإسلامية و الخدمات الدينية الهامة بحماستهم الإيمانية و عواطفهم الجياشة.

قام الشيخ أحمد رضا خان في مقاومة البدع و الرد عليها، و أدى وظيفة هامة في إحياء السنة المطهرة و إماتة البدعة الشنيعة، و ألف الكتب و الكتيبات لإصلاح الشعب المسلم و المجتمع الإسلامي.

و كان الإمام أحمد رضا خان فقيها عديم النظير، و عالما ذا بصيرة، و مفكرا ذا رأى صائب، و حكيما مدبرا.

الإمام أحمد رضا خان ساهم بعض المساهمة في الأنشطة السياسية، و أبدى رأيه السديد فيها في ضوء القرآن الكريم و السنة النبوية.

قد رفع الإمام أحمد رضا خان صوته ضد التضامن بين المسلمين و الهندوس بقوة بالغة حتى دوت به أرجاء شبه القارة الفسيحة.

الهوامش

[1] – الشيخ بدر الدين القادري، سوانح اعلى حضرت (أحوال الحضرة العالية) ص: 93.

[2] – الدكتور محمد مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان و شيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 16.

[3] – هذان الكتابان أهم المراجع لترجمة شاعرنا.

[4] – و جمعت فى هذين الكتابين تراجم تلاميذ شاعرنا و خلفائه.

[5] – الشيخ أحمد رضا خان، حدائق بخشش:117/1.

[6] – صفوة المديح ترجمة عربية منظومة لديوان الشيخ أحمد رضا خان الأردي "حدائق بخشش" للدكتور حازم المصري و الدكتور حسين مجيب المصري: 124/1.

[7] – الدكتور حازم محمد أحمد محفوظ المصري، الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان و العالم العربي، ص: 67.

[8] – الدكتور ممتاز أحمد سديدي، الشيخ أحمد رضا البريلوي الهندي شاعراً عربياً، ص: 411.

[9] – هو من تلاميذ الشيخ أحمد رضا خان و يرجع إليه الفضل أنه من أوائل الكتاب الذين ترجموا حياة الشيخ أحمد رضا خان فى كتابه الشهير بالأردية و عنوانه: حياة أعلى حضرت (حياة الحضرة العالية).

[10] – الإمام أبو داؤد بن الأشعث ، سنن أبي داؤد، باب الدليل على زيادة الإيمان و نقصانه ، رقم الحديث: 4681.

[11] – الشيخ ظفر الدين البهاري، حياة أعلى حضرت: 27،26/1.

[12] – و قد ذكر الأستاذ الدكتور حازم المصري خمسة و عشرين مؤلفاله (انظر محمد أحمد رضا خان و العالم العربى 21، ص: 52....53)

[13] – هذا ملخص ما ذكر الشيخ أحمد رضا خان فى ترجمة والده، انظر فى هذا مؤلفه "أزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار"، ص: 647.....648.

[14] – أستاذ كرس بكلية الآداب من جامعة عين شمس و العضو بالجمع اللغوي و الحاصل على وسام الجدارة من الحكومة الباكستانية.

[15] – مولانا أحمد رضا خان و اللغة العربية .....مقال يتضمنه الكتاب التذكارى، ص: 67.

[16] – من هو أحمد رضا؟ ص: 16.

[17] – الأستاذ محمد أكبر أعوان، شاه أحمد رضا بريج أفغاني، ص: 12.

[18] – نفس المرجع، ص: 12.

[19] – السيد مشتاق أحمد، الإمام أحمد رضا خان وأثره فى الفقه الحنفي، ص: 23.

[20] – الشيخ بدر الدين القادري، سوانح إمام أحمد رضا خان، ص: 391.

[21] – نفس المرجع، ص: 388.

[22] – مجلة سنوية "معارف رضا" العدد العاشر، 1990م، ص: 210 إلى 213.

[23] – مجلة سنوية "معارف رضا" العدد التاسع عشر، 1999م، ص: 25.

[24] – نفس المرجع، ص: 28.

[25] – مجلة سنوية " معارف رضا" العدد الثامن عشر 1998م، ص: 20.

[26] – الشيخ شجاعت على القادري، من هو أحمد رضا البريلوي الهندي؟ ص:13.

[27] – الدكتور محمد مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي و شيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 92،93.

[28] – الدكتور محمد حازم المصري، الإمام الأكبر المجدد محمد أحمد رضا خان و العالم العربي، ص: 121 إلى 126.

[29] – نفس المراجع، ص: 80،81.

[30] – الدكتور حازم المصري، الكتاب التذكاري، ص: 93.

[31] – الدكتور محمد مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي و شيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 49.

[32] – الشيخ أحمد رضا خان البريلوي، الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية، ص: 5.

[33] – و قد نشر كتابان عن الجهود التي بذلها شاعرنا فى مقاوة البدع و المنكرات.

ا: فاضل بريلوي اور امور بدعت: للشيخ محمد فاروق القادري، مجموع الصفحات: 312.

ب: إمام أحمد رضا اور رد بدعات و منكرات: للشيخ يسين اختر المصباحي، مجموع الصفحات: 581.

[34] – الشيخ كوثر النيازي، الإمام أحمد رضا خان و شخصيته الموسوعية:28.

[35] – الدكتور مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي وشيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 105.

[36] – المرجع السابق، ص: 105، من المحجة المؤتمنة فى آية الممتحنة، للشيخ أحمد رضا خان البريلوي.

[37] – الدكتور مسعود أحمد، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي و شيئ من حياته و أفكاره و خدماته، ص: 106.

[38] – الدكتور ممتاز أحمد سديدي الأزهري، الشيخ أحمد رضا خان الهندي شاعرا عربيا، ص: 86.

[39] – أنظر خدمات الشيخ أحمد رضا خان البريلوي فى مجال السياسة فى الكتب الآتية.

1: أكابر تحريك باكستان (زعماء حركة باكستان) للشيخ محمد صادق القصوري.

ب: تحريك آزادى هند اور سواد اعظم (حركة استقلال الهند و السواد الأعظم) للدكتور محمد مسعود أحمد.

ج: تذكره أكابر أهل السنة للشيخ محمد شرف القادري.

د: تعارف علماء أهل السنة للشيخ محمد صديق الهزاروي.

س: أحمد رضا بريلوى اور حكومت باكستان (الشيخ أحمد رضا خان البريلوي و الدولة الباكستانية) للدكتور إقبال أحمد أختر القادري.